خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٢٢

في منهايم ألمانيا

إن بقاءكم في الاعتصام بحبل الله والتمسك بنظام الخلافة

- إن نجاح النظام وتقدُّمَه يتوقف على الذين لهم علاقة بذلك النظام والالتزام التام بقواعد ذلك النظام وضوابطه
- تمسكوا دوما بنظام الجماعة لأنه لا بقاء لكم الآن دون ذلك
- دهاء أناس يتوجهون إلى أماكن أخرى للانتفاع تاركين نظام الجماعة وتنبيههم
- إن ما يجب عليكم هو الطاعة فقط
- الجزاء من الله على الدوام يترتب على طاعة نظام الجماعة
- لا تعتبروا هذه الجلسة كمهرجانات مادية عادية

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن نجاح النظام وتقدمه يتوقف على الذين لهم علاقة بذلك النظام وعلى الالتزام التام بقواعد ذلك النظام وضوابطه. ولو تأملنا، لوجدنا أن نسبة الالتزام بالقانون في الدول المتقدمة تفوق بكثير ما هو عليه الحال في دول العالم الثالث أو النامية، وهذا في حد ذاته أحد أبرز أسباب تقدم تلك البلاد؛ أنه إذا كان رجل كبير أو مسئول حين يتضح خطأُه تثار ضجة كبيرة عموما ولا يجد بدا من مواجهة عواقبه، وهو يتحمل عقوبة خطئه لا محالة مهما كان، أما في البلاد الفقيرة أو بحسب المصطلح المعاصر في بلاد العالم الثالث، فمن الملاحظ أنه إذا كان هناك أمر خاطئ، تبذل الجهود لكتمانه كثيرا حتى ينتهي الشعور بالندم أو الخجل، وهذه الأمور في نهاية المطاف تعرقل تقدم البلاد. فإذا كانت هناك حاجة ماسة لاحترام القانون في النظام المادي لهذه الدرجة، فيمكن أن نقدر كم تمسنا الحاجة إلى العمل بالقواعد واحترام القانون في النظام الروحاني النازل من الله، تذكروا أنه لما كان النظام الديني والروحاني يقام في الدنيا بواسطة رسله، لذا لا بد من اتخاذ المبادئ التي علمناها الله ﷻ ووصلت إلينا بواسطة الأنبياء، وفي الإسلام قد وصل إلينا هذا النظام بواسطة النبي ﷺ، فمن منة الله العظيمة على الأحمديين، أنه لم يجعلهم من أمة الهادي الكامل فحسب بل قد وفقهم للانضمام إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام والإمام المهدي في هذا العصر، وفي هذه الجماعة هناك نظام، أي نظام الخلافة، فبأيديكم عروة وثقى، لا انفصام لها. لكن تذكروا أن هذه العروة لن تنفصم لكنكم إذا خففتم القبضة فهناك احتمالات أن تنكسروا أنتم، حفظ الله الجميع من ذلك، لذا تذكروا دوما هذا الحكم، أن اعتصموا بحبل الله وتمسكوا بنظام الجماعة دوما، لأنه لا بقاء لكم الآن من دون ذلك. اعلموا أن الشيطان قاعد في طريقكم، فلسوف يغوينَّكم دوما، وعليكم أن تضعوا هذه الآية في عين الاعتبار دوما. يقول الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٩)

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في تفسيرها:

يمكن أن تكون كلمة "كافة" هنا حالا من "الذين آمنوا"، أو حالا من "السلم". ويكون المعنى الأول: أيها المؤمنون، ادخلوا في الإسلام جميعا، وينبغي أن تدخلوا كلكم في طاعته، وتضعوا نير طاعته على أعناقكم جميعا. يجب ألا يكون منكم أحد لا يحوز مقام الطاعة والإسلام لله تعالى.

والمعنى الثاني: أيها المؤمنون، يجب أن تقبلوا الإسلام كله، وتتخذوا كل السبل للطاعة والاستسلام لله تعالى، ولا تتركوا أي أمر من أوامر الله.

هذه هي التضحية التي يطلبها الله من المؤمن: أن يُضحي في سبيله بكل أمانيه وأهوائه وأهدافه. وليس أن يعمل بما شاء ويترك ما شاء .. لو رأى أن الشرع يقضي له بالحق، رضي بحكم الشرع ونادى باتباعه؛ أما إذا وجد الشرع يقضي عليه بالحق، في حين أن القانون الوطني يقف في صفه، قال أتبع قانون البلد. هذا الأسلوب يتنافى تماما مع الإيمان الحقيقي.

في الآيات السابقة بيّن الله أن هناك ضعاف الإيمان بين المسلمين ويسعون بالفساد والفتنة في أيام الرقي القومي وفي زمن الرفاهية، وينسون ما كانوا عليه من قبل، وماذا أنعم الله عليهم الآن من فضل الله، ولذلك ينصح الله المسلمين هنا ويقول: صحيح أنكم تُدْعَون مؤمنين، ولكن تذكروا أن التفوّه بالإيمان لا يجعل الإنسان مستحقا للنجاة. فإذا أردتم أن تفوزوا بالنجاة فسبيل ذلك أولا–أن تسعوا لمحو كل صنوف النفاق وعدم الإيمان من بينكم، وأن تجعلوا كل فرد من قومكم ثابتا على صخرة قوية من الإيمان والطاعة. وثانيا–ألا تفرحوا بالعمل ببعض أحكام الشرع، بل عليكم أن تعملوا بكل ما تؤمرون به من الله تعالى، وأن تكونوا مظاهر كاملة للصفات الإلهية. (التفسير الكبير مجلد ٢)

هنا في هذه البلاد التي ليست فيها القوانين الإسلامية سارية المفعول، من الملاحظ (كما قال سيدنا المصلح الموعود ﷺ حذار أن يكون نصب أعينكم منفعتُكم الشخصية فقط) بعض الأحمديين حين يجدون في النزاعات والخصومات أن الشريعة يمكن أن تمكِّنهم من الحصول على الحق بشكل أفضل يتحاكمون إلى الجماعة سريعا في قضيتهم، أما إذا وجدوا الفائدة في التوجه إلى القانون الوطني فيتوجهون إلى المحاكم الوطنية دون أن يسألوا الجماعة، ولا يرضون طاعة الجماعة بأي حال من الأحوال. لأن في هذا الحال يكون الشيطان قد ركب رؤوسهم، ثم إذا حكم القانون الوطني ضدهم يهرعون إلى نظام الجماعة سريعا قائلين لقد توجهنا إلى المحكمة الوطنية للحكم في نزاعنا لسوء فهم، فاعفوا عنا، فسوف نقبل ما يقوله لنا نظام الجماعة. فاعلموا أنهم لا يهدفون من العودة إلى نظام الجماعة إظهار طاعتهم وحبهم لها، بل يسعون لينطلي مكرهم على رئيس الجماعة أو أميرها أو القاضي فيُقنعوه ويستصدروا

منه الحكم لصالحهم. ففي هذا الخصوص تذكروا أنكم إذا ذهبتم إلى المحاكم الوطنية تاركين نظام الجماعة، دون إذن من النظام، أو ضغطتم على النظام أنكم لا تريدون التحاكم إلى الجماعة، وطلبتم بإصرار أن يُسمح لكم في كل حال بالتوجه إلى القانون الحكومي، فلن يسمع نظامُ الجماعة لأي قضية لهم في المستقبل أبدًا.

ويجب ألا يأتوا بقضاياهم إلى الجماعة أبداً. وحين يرفض نظام الجماعة تولّي قضايا أمثالهم، يبدأون بتقديم الشكاوى ضد سكرتير الأمور العامة أو الرئيس أو الأمير، ويشرعون في الاعتراض قائلين: "انظروا، هؤلاء لا يتعاونون في حل نزاعاتنا." وتُكتب رسائل مطوّلة إلى خليفة الوقت، ويُهدر الوقت سدى. فهذه كلها أفكار شيطانية. إن الشيطان يُلقي في قلوبكم الوسوسة أولًا، فيقول لكم: "لا تذهبوا بقضاياكم إلى الجماعة، فالطرف الآخر له علاقات أوثق بالمسؤولين، وسيستصدر الحكم ضدكم ولصالحه." فإذا وقعتم مرة في قبضة الشيطان، صعُب الخروج منها، وتبدأ دوامة تخلق في القلوب حقدا شيئًا فشيئًا.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "يا أيها المؤمنون! استسلموا لله في سبيله، ولا تتبعوا سبل الشيطان فإنه عدوٌّ لكم. والمراد بالشيطان هنا أولئك الناس الذين يُعلِّمون الشر." (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، ج١)

فهذا أحد الأسباب؛ إذ إن النزاعات الشخصية، سواءٌ أُحيلت إلى نظام الجماعة للفصل فيها أم لم تُحَل، كما أشار المسيح الموعود عليه السلام، ثمة أناسٌ يُعلِّمونكم الشر، ويُوقدون في القلوب أفكارًا سيئة، ويُحرِّضونكم على النظام، فتَقعون بسببهم في شَرَك الشيطان. وبسبب هذا الشَّرَك، سواء لجأ المرء إلى القضاء المدني في صورة نزاعات، أو سعى إلى حسم أموره عبر نظام الجماعة، فأيُّ طرفٍ صدر الحكم ضده يتّهم مسؤولي الجماعة ويبدأ بمعارضتهم، فتبدأ من ثَمَّ ظنون السوء بالنظام، ويُجاهر بمعارضته. وعمليًّا، يفصل هؤلاء الناس أنفسهم عن نظام الجماعة بالفعل، فهم لا يكونون في الجماعة ولا في غيرها. وفي هذا الشأن، ينبغي لنا جميعًا أن نضع هذا الحديث دومًا نُصبَ أعيننا.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْوِيهِ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ". (صحيح مسلم، كتب الإمارة، باب وجوب جماعة المسلمين)

ثم هناك حديث آخر عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّار". (سنن الترمذي، كتب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة)

يجب أن يبقى هذا الأمر دائمًا في الذهن: مهما كانت الظروف والأحوال، فعلينا دائمًا بالتحلّي بالصبر. وليُتذكَّر أيضًا أن الصبر لا يكون إلا عند الشعور بضياع الحق. وقد استخدمتُ هنا كلمة "الشعور" لأن كثيرًا ممن يصدر ضدهم حكم ما يظنون أن ذلك الحكم خاطئ وأن الحق كان في صفّهم. فليُخرَج هذا الخاطر من القلب. إذ لا يُعقل أن يكون النظام بأكمله من أعلاه إلى أدناه يصدر قرارات خاطئة باستمرار، فيصل سوء الظن هذا إلى طعن في خليفة الوقت.

فإن كان أمام كل أحمدي هذا الأمر الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٦٠) فما لم تُواجَهوا بموقف تُؤمَرون فيه صراحةً بمخالفة الأحكام الشرعية الواضحة، فإن طاعة الله والرسول تتجلّى في طاعة نظام الجماعة وطاعة مسؤوليها والامتثال لأوامرهم وقراراتهم. وإن كانت هذه القرارات خاطئةً، فإن الله سيُثيبكم على صبركم. فما دمتم تؤمنون باليوم الآخر، فأسلموا الأمر إلى الله. وليس لكم الحق في التمسّك بخلافكم والإصرار عليه. فواجبكم هو الطاعة، الطاعة، الطاعة.

قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"أطيعوا الله ورسوله والملوكَ. الطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة ونورٌ. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. ولكن الشرط هو أن تكون الطاعة صادقة وهذا هو الأصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة وإلا لا تتحقق الطاعة. إن أهواء النفس هو الشيء الذي يمكن أن يصبح أوثانا في قلوب الموحدين الكبار أيضا. كم كان فضل الله تعالى عظيما على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين! كم كانوا فانين في طاعة رسول الله ﷺ! صحيح تماما أنه لا يمكن لقوم أن يسمَّى قوما ولا يمكن أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة ما لم يتمسك بمبدأ الطاعة. وإذا بقيت الفُرقة والخلاف في الرأي فاعلموا أنها بوادر الانحطاط والإدبار. ومن جملة أسباب ضعف المسلمين وانحطاطهم الخلافاتُ والنزاعات الداخلية أيضا. فلو تركوا الخلافات في الرأي وأطاعوا مَن أمر الله بطاعته لتم ما أرادوا إتمامه. يد الله تكون على الجماعة والسر في ذلك أن الله يحب الوحدة. والوحدة لا تتحقق دون الطاعة. كان الصحابة في زمن رسول الله ﷺ ذوو رأي سديد من الدرجة العليا وقد خلقهم الله تعالى على هذا النحو، فكانوا مطّلعين جيدا على مبادئ السياسة أيضا لأنه حين صار أبوبكر وعمر وغيرهما من الصحابة خلفاء وملكوا السلطنة فبحسن الإدارة والنظام الذي

تحملوا به عبء السلطنة الثقيل يتبين منه بجلاء كم كانوا موهوبين من حيث سداد الرأي. ولكن كانت حالتهم أمام رسول الله ﷺ أنه كلما قال ﷺ شيئا استخفوا مقابله بآرائهم وفطنتهم واعتبروا كل ما قاله النبي ﷺ واجب العمل به. كانت حالة فنائهم في الطاعة أنهم كانوا يتباركون بفضله وضوئه ويعتبرون شفتَيه مباركتين. ولولا هذه الطاعة والتسليم لها ولو أنه قدّم كل شخص رأيه لحدثت الفُرقة ولما نالوا تلك المراتب العليا.

أرى أنه يكفي دليلا لرفع النزاعات من بين أهل الشيعة والسنة أنه لم يكن في الصحابة شيء من الفُرقة والعداوة الداخلية قط. إن تقدُّمهم ونجاحهم لدليلٌ بيّنٌ على أنهم كانوا متحدين ولم تكن بينهم أدنى عداوة.

يقول المعارضون الأغبياء بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، ولكني أقول إنه قول باطل. إنما الواقع أن قنوات قلوب الصحابة فاضت بماء الطاعة وجرت. وكان من ثمار هذه الطاعة والوحدة أنهم سخّروا قلوب الناس... كان في وجه نبينا الكريم ﷺ-الذي كان يعلوه نورُ التوكل على الله، والذي كان مزدانا بصبغة الجمال والجلال- من الجذب والقوة ما استمال إليه القلوب عفويا. وقد ضربت جماعته ﷺ أروع الأمثلة لطاعته، وتحلّوا بالاستقامة التي هي فوق الكرامة، فكان كل مَن كان يراهم ينجذب إليهم تلقائيا. ملخص القول، اليوم أيضا هناك حاجة ماسّة إلى سيرة كسيرة الصحابة ووحدة كوحدتهم، لأن هذه الجماعة التي يتمّ إعدادها على يد المسيح الموعود قد ألحقَها الله تعالى بالجماعة التي أعدّها رسول الله ﷺ. ولأن ازدهار هذه الجماعة سيكون نتيجةَ أسوةِ أناسٍ كهؤلاء، فمِن واجبكم -أنتم الذين تُسمَّون جماعةَ المسيح الموعود وتتمنون اللحاق بجماعة الصحابة- أن تتصبغوا بصبغة الصحابة ﷺ. يجب أن تكونوا كالصحابة طاعةً وحبًّا وتآخيًا. باختصار يجب أن تتخلقوا بأخلاق الصحابة في كل مجال. (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، المجلد٢، ٢٤٦٠٢٤٨، تفسير سورة النساء، الآية: ٦٠)

والآن أقدم بعض الأحاديث في سياق الطاعة: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ كَيْفَ قَالَ: "يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ قَالَ تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ". (صحيح مسلم، كتاب وجوب ملازمة جماعة المسلمين)

إن ملخص هذا الحديث هو أنه إذا كان المسؤولون عليكم يظلمونكم أيضا فمع ذلك عليكم أن تستمروا في طاعتهم. لقد علق النبي ﷺ بالطاعة أهمية كبيرة ونصح الأمة بها من زوايا مختلفة.

وهناك بعض الأحاديث الأخرى بهذا الشان:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ". (صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً". (صحيح مسلم، كتاب وجوب ملازمة جماعة المسلمين)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ". (صحيح مسلم، كتاب الأمارة)

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَلَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. (صحيح مسلم، كتاب الأمارة، كتاب وجودة طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية).

أقول: مَن كان أكثر اهتمامًا بحقوق الناس من النبي ﷺ؟ فكما جاء في الحديث أنه يجب الطاعة حتى لو لم تُراعَ حقوقنا. غير أن بعض المبادئ ستتغير هنا. وقد شهد جميع الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي ﷺ كان يؤدي الحق أكثر من الواجب نفسه، فلا يمكن التصور أنه ﷺ كان لا يهتم بحق أحد.

ولكن لمّا كان الحديث هنا عن نظام الجماعة، فلا يمكن قبول أدنى شائبة لخروج أتباعها عن الطاعة، لذا يؤخَذ العهد إننا سنفي عهد البيعة بروح الطاعة والامتثال التام في جميع الأحوال، حتى لو لم تُراعَ حقوقنا.

ولكن هذا لا يعني أن النبي ﷺ يسلب أحدا حقه، بل المقصود أنه حين يتعلق الأمر بالحياة ضمن الجماعة، ينبغي أن تتغير معايير الحقوق. ففي هذه الحالة لا تفكروا في نفوسكم فقط بل فكّروا في الجماعة، وتنازلوا طوعًا واختيارًا عن حقوقكم الشخصية، واسعَوا لأداء حقوق الجماعة. فالمبدأ هنا هو أن تضحّوا بالأدنى في سبيل الأعلى.

ومَن عُيِّن مسؤولا أو أميرا، فطاعته واجبة عليكم، فأطيعوه ولا تتساءلوا لماذا اختير هو دون غيره. يحدث أحيانا أن الأقارب يقدحون قائلين: كانت لعائلتنا مشكلات مع هذا الشخص، وأنتم تُطيعونه! فينبغي ألا تخشوا هذا النوع من اللوم والطعن في سبيل الله أبدًا.

فهذا هو النظام الرفيع المتين الذي أراد النبي ﷺ إرساءه وتأسيسه.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في هذا السياق: ما يسميه القرآن الكريم طاعة إنما هو النظام وضبط النفس، أي لا يحق لأحد أن يقدم حريته الشخصية مقابل المصلحة القومية. هذا هو ضبط النفس والنظام. (التفسير الكبير، المجلد ١٠، ص١٥٦)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ". (صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام...)

فكما قلتُ من قبل إن الطاعة واجبة في كل الأحوال إلا إذا كان فيها معصية واضحة لأحكام الشريعة. هذا ما يتبين من الحديث المذكور آنفا. ولكن لا بد هنا من توضيح أمر، ألا وهو أنه يجب ألا تحكموا جالسين في بيوتكم أن أمر كذا ينافي الشريعة وأمر كذا لا يخالفها، إذ من الممكن ألا يكون الأمر كما فهمتموه، لأن الكلمات الواردة في الحديث هي: "ما لم يُؤمَر بمعصية".

قد صار نظام جماعتنا بفضل الله تعالى راسخا ومحكما بحيث يستحيل أن يصبح فيها مسؤولا مَن ينحطّ لهذه الدرجة ويصدر مثل هذه الأحكام. فالأمر ينحصر فقط في استيعاب هذا الحكم وشرحه. فعليكم أولاً لفت نظر المسؤول إلى الأمر، فإذا لم يستجب، فارفعوه إلى المسؤول الذي فوقه، ثم إلى أمير، ثم إلى الخليفة. ولكن إذا كان هذا الأمر سيئة فلا يحق لأحد ذكرُها وإشاعتها بين الناس، لأننا مأمورون بالحد من السيئة في مهدها. فواجبكم رفع الأمر إلى المسؤول الأعلى في النظام وانتظار حكمه.

لقد قال حضرة المصلح الموعود ﷺ:إن هذا التأكيد الكثير على طاعة الإمارة والخلافة لا يعني أن كل ما يحكم به الأمير أو الخليفة يكون صوابًا على الدوام، كلا بل قد يُخطئان في بعض القضايا، ومع ذلك قد أُمِرنا بطاعتهما واتباعهما، لأن استقرار النظام من دون ذلك محال. ما دام النبي ﷺ يقول: قد أخطئ أنا أيضا، فأَنَّى للخليفة أو الأمير أن يدّعي أنه لا يمكن أن يُخطئ في أي أمرٍ البتة؟ كلا بل قد يخطئ الخليفة أيضًا، ومع ذلك لا بد من طاعته، وإلا تكنْ فتنةٌ كبيرة. فمثلا هناك أمرُ

إرسال وفد إلى مكان، ويرى الخليفة إرساله ضروريا، ولكن البعض يقول هذا ليس ضروريا، وقد لا يكون إرساله ضروريا في الواقع، ولكن لو سُمح لهذا الشخص برفض رأي الخليفة لاختلّ النظام وكانت فتنة كبيرة. فمِن أجل توطيد النظام وإصلاحه يتحتم على هذا الشخص ألا يصر على رأيه. لذا فإذا كان في فرع للجماعة أميرٌ ورأى أن رأي الآخرين ليس بنافع، فعليهم أن يتخلوا عن رأيهم، وإذا كان في فرع للجماعة "أنجمن" وكان رأي سكرتيرها على عكس رأي الإخوة فعليهم ألا يصروا على رأيهم. عليهم أن يسعوا قدر المستطاع لشرْح الأمر للأمير أو السكرتير لإقناعه برأيهم، ولكنه لو تمسك برأيه فعليهم أن يتخلوا عن رأيهم، لأن التخلي عن رأيهم في هذه الحالة ضروري بدلاً من بثّ الفتنة.

لقد سمعتم تعليمات شتى للرسول ﷺ بشأن طاعة الأمير، ولكن الحديث التالي يبثّ في القلوب مزيدا من الخوف والرعب. فعلى كل أحمدي أن يأخذ هذه الأمور في الحسبان كل حين مدركًا مدى ضرورة طاعة الأمير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي". (صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية)

فمن ذا الذي يحب الخروج عن طاعة النبي ﷺ؟ لن يوجد هناك أحمدي يتصور ذلك. فما دام تصور هذا الأمر محالا فاجعلوا طاعة المسؤولين والأمراء لوجه الله خالصةً فرضا واجبا عليكم. أما إذا رأيتم من بعضهم أمرًا ضارًّا بنظام الجماعة فأمامكم سبيل مفتوح لإبلاغ الخليفة به، والأحرى أن تبلّغوه به بواسطة ذلك المسؤول نفسه. واعلموا أن الشكوى التي ترفع دون ذكر اسم المشتكي فلا يُلتفت إليها. إذا كنتم تريدون الإصلاح حقًّا فتقدَّموا بشكواكم بشجاعة ودونما خفاء. ولكن اعلموا أنه لا يجوز لكم قطعًا عصيانُ أي مسؤول، لأنكم بعدم تعاونكم مع المسؤول وعصيانكم له ستعصون الخليفة، وإذا عصيتم مسؤولا فإن أمر العصيان هذا سيصل إلى الأعلى فالأعلى. فبقاء كل واحد منا إنما يكمن في الوفاء بعهده بأنه سيظل مستعدا لتقديم كل تضحية.

ولأن الجلسة سوف تبدأ اليوم إن شاء الله، لذا سوف أقرأ أمامكم بعض الأدعية التي دعا بها سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لمن يحضر هذه الجلسة. وإذا كان عليه السلام قد قام بدعوات كثيرة للذين يحضرون هذه الجلسة، فإنه كذلك قد توقع منهم بعض التوقعات أيضا، ولقد قال لا تظنوا هذه الجلسة كالمهرجانات الدنيوية التي يجتمع فيها الناس ويعقدون المجالس هنا وهناك

ويتجاذبون فيها أطراف الحديث ويستمتعون. ففي كل أوقات الجلسة لا بد من الاستماع لجميع فعالياتها جالسين في هذه الخيمة التي تجري فيها البرامج، اللهم إلا في حالة اضطرار شديد. وعلى المسؤولين أيضا أن يهتموا بهذا الأمر ويوجّهوا كل الحضور إليه برفق ومحبة، ومِن واجب الحضور أيضا أن يتعاونوا مع المسؤولين بهذا الصدد، ولا يتضايقوا منهم إذا نبهوهم إلى ذلك، بل عليهم أن يطيعوهم طاعة كاملة، لأن هذا أيضا جزء من طاعة نظام الجماعة. وسوف يتبين اليوم بل حالاً مدى طاعة كل واحد منكم. يجب على السيدات خاصة أن يعتنين بهذا الأمر، وأن يدركن أنهن جئن هنا للاستماع لفعاليات الجلسة، وليس لعقد مجالسهن للخوض في الحديث عن الأمور الدنيوية. هذه هي الأيام التي تتاح فيها فرصة إصلاح النفس، فعليهن أن يغتنمن هذه الفرص حق الاغتنام. ثم إن السيدات اللواتي يصطحبن أولادهن الصغار فعليهن أن يجلسن في آخر خيمة النساء لكيلا يصعب على الأخريات الاستماع إلى فعاليات الجلسة بسبب ضجيج الأطفال، بل يستمعن لكل البرامج بسهولة ويسر. ومن فوائد جلوسهن في آخر الخيمة أنهن سيتمكنّ من الخروج من الخيمة بسهولة من أجل حاجات الأطفال الضرورية. فآمل أنكم ستُثْبتون في هذه الأيام الثلاثة، إن شاء الله، أنكم قد اجتمعتم هنا لقضاء حياتكم لوجه الله خالصة.

والآن أقرأ على مسامعكم الدعوات التي دعا بها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لهذه المناسبة. لقد دعا الله تعالى لجماعته وقال:

"كان الله تعالى مع كل الإخوة الذين يتجشّمون عناء السفر لهذه الجلسة المنعقدة لوجه الله خالصةً، وجزاهم خير الجزاء، ورحِمَهم، وسهّل عليهم مشاكلهم، وخفف قلقهم، وأزال عنهم كل هم وغم، ونجّاهم من كل مصيبة، وفتحَ عليهم سُبُلًا لتحقيق مرادهم، وحشَرهم يوم القيامة مع عباده الذين شملتهم رحمته وفضله، وكان خليفتَهم في أهلهم مِن بعدهم إلى نهاية سفرهم. يا ربِّ، يا ذا المجد والعطاء! يا رحيمُ، يا كاشِفَ الغَمّاء! استجِبْ كلّ هذه الأدعية، واكتبْ لنا الغلبة على خصومنا بالآيات البينات، فلك القدرة والقوة كلها، آمين ثم آمين. والسلام على من اتبع الهدى". (الإعلان في ٧/ ١٢/١٨٩٢، مجموعة الإعلانات، المجلد الأول ص ٣٤٢)

جَعَلَنا الله وَرَثةً لدعوات سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذه، وأيضا لكل الدعوات الأخرى التي دعا بها لجماعته الحبيبة، وأدخلَنا في عباده العابدين، وطهّرَنا مِن كل نوع من الشرك، وأعاننا على طاعته الكاملة، ومتّعَنا بجميع البركات المنوطة بهذه الجلسة، وسترَنا دائما برداء رحماته وأفضاله، آمين.

***